﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

[الأنعام: 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

نزولُ هذه الآيةِ، مَـوقـعَ الصِّـفةِ منَ الموصوفِ مع سابقتِها

بعد أن أبانَ اللّٰهُ تعالى هولَ ذلك اليومِ الَّذي لا ريبَ فيه بقوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، تابع في هذه الآيةِ وصفَ ذلك اليَوْمِ بالهولِ، فقالَ: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾، أي: يُصرفُ عنه عذابُ ذلك اليومِ، فقد أصابتْهُ رحمةُ اللّٰهِ، وفازَ بالجِنانِ، فوقعتِ الآيةُ من سابقتها موقعَ الصِّفةِ من الموصوف.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُصْرَفْ﴾: جذرُ الكلمة هو (صرف): ويدلُّ على رجعِ الشَّيءِ، من ذلك: صرفتُ القومَ صرفًا، وانصرفوا؛ إذا رجَّعتَهم، فرجعوا، وكلُّ (صَرَف) ومضارعِها، وأمرِها، المبنيِّ للمفعول منها، كلُّها بمعنى التَّحويلِ[1]. والمعنى هنا: يُردُّ عنه العذابُ.

2) ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: جذر الكلمةِ هو (بين)، وبانَ الشَّيءُ بَينًا، وبانَ عنه، واستبان وبيَّنَ وتبيَّن: ظَهر ووضَح[2]، ورجلٌ بيِّنٌ: فصيحٌ ذو بيانٍ، والبيانُ: الكشفُ عن الشَّيءِ، وهو أعمُّ من النُّطق مختصٌّ بالإنسان، ويُسمَّى ما بُيِّن به بيانًا[3]، والمعنى هنا: الظّاهرُ الواضحُ.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الفوزُ الحقيقيُّ المـبـيـنُ، لمـن شملَتْه عِنايةُ أرحمِ الرّاحمينَ

تقرِّرُ الآيةُ أنَّ من أنجاهُ اللّٰهُ مِنَ العذابِ المذكورِ؛ فقد رَحِمَهُ رحمةً شاملةً وآتاه الثَّوابَ لا محالةَ؛ لأنَّ صرْفَ العذابِ، وحصولَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (صرف).
(2) الخليل، العين: (بين).
(3) الراغب، المفردات: (بين).

الرَّحْمَةِ هو النَّجاةُ والفلاحُ المُبين[1]، لما يتبعُ ردَّ العذابِ ودفعَه من النَّعيمِ المُقيم الَّذي لا ينقطعُ، ولا يزولُ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الإيجازِ في قولِهِ تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾:

البُشرَى في صرْفِ العذابِ تقتضِي بُشرَى الرَّحْمَةِ ودخولِ الجِنانِ

قوله: ﴿يُصْرَفْ﴾ مبنيٌّ للمفعولِ، ومعلومٌ أنَّ الصّارِفَ هو اللهُ تعالى، فحُذِفَ للعلمِ به أو للإيجاز؛ إذ قد تقدَّمَ ذكرُ الرَّبِّ، وتُبَيِّنُهُ قراءةُ حمزةَ والكسائيِّ وشعبةَ وخلفٍ ويعقوبَ بالبناءِ للفاعل[2]، وفوقَ ما في الحذفِ من إيجازٍ؛ فإنَّ فيه لفتًا للسّياقِ لتقديرِ المعنى المحذوفِ.

إيثارُ تنوينِ العِوضِ في قولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

تظهرُ براعةُ النَّظْمِ في الإيجازِ وجمالِ المعنى المُقدَّرِ

ويجوزُ في هذا الوجهِ أن يكونَ الضَّميرُ في ﴿يُصْرَفْ﴾ عائدًا على ﴿مَّن﴾، والتَّنوينُ في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تنوينُ عوضٍ من جملةٍ محذوفةٍ يتضمَّنُها الكلامُ السّابقُ، والتَّقديرُ: (يومَ إذ يكونُ الجزاءُ)؛ إذ لم يتقدَّمْ جملةٌ مصرَّحٌ بها، يكون التَّنوينُ عوضًا عنها[3]، وأفادَ ذلك براعةً في الإيجازِ، وجمالًا في تقديرِ المعنى.

وجهُ الإطنابِ في تكريرِ ذكْرِ (اليومِ)، في قولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

تكرارُ ذكرِ يومِ القيامةِ، لتأكيدِ عظيمِ شأنِهِ

بعد أن ذكرَ اليومَ في الآيةِ السّابقةِ، فقال: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، كرَّر ذكرهُ في هذه الآيةِ لبيانِ عظيمِ شأنِ هذا اليومِ، فقالَ: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾، وفائدةُ التَّكريرِ ليُفهم أنَّ هذا اليوم آتٍ لا محالةَ، وأنَّه يومٌ ليس كسائرِ الأيّامِ، وإنَّما هو ميزانُ أيّامِ الدُّنيا كُلِّها.

(1) الخازن، لُباب التّأويل: 2/122.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/257.
(3) أبو حيّان، البحر المُحيط: 4/455 - 456.

حُسنُ اختيارِ الفِعلِ معَ الضَّميرِ في ﴿رَحِمَهُۥ﴾:

البناءُ للمعلومِ في قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ على خلاف ما سبقَ؛ إذ قال: ﴿يُصْرَفْ﴾، فلم يُسَمِّ فاعِلَهُ، وعلى القراءةِ الأخرى الشّاذَّة (فقد رُحِمَ) ليتناسبَ الفعلان[1]، والكلامُ عن إنسانٍ تجاوز مِحَنَ ذلك اليوم، فصرفَ اللّهُ عنه عذابَهُ، وتلك هي عينُ الرَّحمةِ بذلكَ الإنسانِ، فقال تعالى: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾.

عـينُ الـرَّحـمـةِ بـالإنـسـانِ، أن يُـصـرفَ عـنـهُ مـا في الـعـذابِ من هوانٍ

حكمةُ اتِّحادِ الشَّرطِ والجَزَاء في المَعنَى:

في الآيةِ اتِّحادُ فعلِ الشَّرْطِ وهو ﴿يُصْرَفْ﴾، والجَزاءِ وهو ﴿رَحِمَهُۥ﴾ في المعنى؛ إذ إنَّ من يُصرَفُ عنه شرُّ ذلكَ اليوم، فذلكَ عينُ الرَّحمةِ، فوقعَ في الجَزاءِ اتِّحادٌ معنويٌّ مع الشَّرط في قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾، وإذا اتَّحدَ الشَّرطُ والجَزاءُ؛ عُلِمَ منهُما المُبالَغَة في تعظيم الرَّحمةِ؛ إذ ليس بعد تلك الرَّحمةِ ما يستدعي الخوفَ والقَلقَ قَطعًا، ولَيسَ بَعدَها إلّا الفوزُ بِرِضاءِ اللّهِ وفَضلِه.

الـمُـبَـالَـغَـةُ في تعظيمِ رحمةِ الـلـهِ، مقصدٌ عقديٌّ مهمٌّ

دلالةُ جمالِ المقابلةِ، بطريقِ المَذهَبِ الكَلاميِّ:

ومعنَى وصفِ العذابِ بمضمونِ جملةِ الشَّرطِ والجزاءِ، أي: من وفَّقَهُ اللّهُ لتجنُّبِ أسبابِ ذلك العذابِ؛ فقد قدَّرَ اللّهُ له الرَّحمةَ، ويَسَّرَ له أسبابَها، والمقصودُ من هذا الكلام إثباتُ مقابل قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، كَأَنَّهُ قال: أرجو إن أطعْتُهُ أن يرحمَني ربّي؛ لأنَّ من صرفَ عنه العذابَ؛ ثبتَت له الرَّحمةُ، فجاء في إفادةِ هذا المعنى بطريقةِ المذهبِ الكَلاميِّ، وهو ذكرُ الدَّليل ليُعلَمَ المدلولُ، وهذا ضربٌ من الكنايةِ وأسلوبٌ بديعٌ؛ بحيث يدخلُ المحكومُ له في الحكمِ بعنوان كونه فردًا من أفرادِ العمومِ الَّذين ثبتَ لهم الحكمُ[2].

مقابلةُ الحالاتِ المـتـعـارِضـةِ، تُـقـدِّمُ أفضلَ الأدلَّةِ الضَّروريَّةِ للإقناعِ

(1) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 2/274.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/161 - 162.

بلاغةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ ﴿وَذَٰلِكَ﴾:

الإشـــــارةُ بـالـبَـعـيـدِ، تعظيمٌ لشأنِ الـفَـوزِ الّـذي وصَفَهُ بالعَظيمِ

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾: يقترنُ اسمُ الإشارةِ بالكافِ ليدُلَّ على البعدِ، فتقولُ: (ذاك)، وللزّيادةِ في البُعدِ تُزاد اللّام، فيُقال: (ذلك)، وقد يُنـزَّلُ القريبُ منزلةَ البعيدِ للتَّعظيم، كقولِ الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: 2]، وليس المقصودُ من البُعد هنا البُعد المَكانيُّ ولا الزَّمانيُّ، بل بُعد المَنزِلَة، ومِثلُه قولُ الله تعالى مُخبرًا عن يوم القيامةِ: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣﴾ [هود: 103]. ومثلُ ذلك في الآيةِ قولُهُ تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾ [النساء: 13]. فأشارَ باسمِ الإشارةِ للبَعيدِ أرادَ تعظيمَ شأنِ ذلك الفَوزِ الذي وصَفَهُ بالمُبين.

وجهُ التَّعريفِ في ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾:

النَّجاةُ في الآخرةِ فـوزٌ عـظـيـمٌ، لا تَـخـفَـى دَلائـلُـه على أحدٍ

قالَ سيبويه: "واعلم أنَّ النَّكرة أخَفُّ عليهم من المَعرفة، وهي أشَدُّ تَمكُّنًا؛ لأنَّ النَّكرة أوَّلُ، ثمَّ يدخلُ عليها ما تُعرَّفُ به، فمن ثَمَّ أكثرُ الكلام ينصرفُ إلى النَّكرةِ"[1]، أي: إنَّ النَّكرةَ تأتي أوَّلًا، ثمَّ تأتي المعرفةُ بعدَها، فالنَّكِرَةُ بمفردِها تدلُّ على الإطلاقِ، وأمّا المعرفةُ، فيُفهَمُ منها ذاتُ المعيَّنِ، ويُفهَمُ منها كونُه مَعلومًا للسّامِعِ، لِدِلالَةِ اللَّفظِ على التَّعيين، فيفيدُ التَّعريفُ في قوله: ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ تعيينَ ذلكَ الفوزِ للَّذي قد صُرِفَ عنهُ سوءُ ذلك اليوم، وفي ذلك التَّعريفِ دلالةٌ على أنَّهُ هو فوزٌ عظيمٌ، بيَّنَ العظمة، فلا تَخفَى على أحدٍ عظَمَةُ ذلك الفوزِ.

سرُّ التَّذييلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾:

دفـعُ الـعـذابِ يـومَ الـقـيـامـةِ دخولٌ في رحمةِ اللهِ الشّاملةِ

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾، أي: الصَّرفُ أو الرَّحمةُ[2]، والجملةُ تذييلٌ لما قبلها، فبعد أن ذكرَ صرفَ العذابِ، ووجوبَ

(1) سيبويه، الكتاب: 1/22.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/156.

الرَّحمة، بيَّن موجزًا أنَّ ما ذُكر هو الفوزُ المُبينُ بعينهِ، الَّذي لا يلحقُ به فوزٌ مكانةً وضمانًا، والإشارةُ موجَّهةٌ إلى الصَّرفِ المأخوذِ من قوله: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ﴾ أو إلى المذكورِ، وإنَّما كان الصَّرْفُ عنِ العذابِ فوزًا؛ لأنَّه إذا صُرِفَ عن العذابِ في ذلك اليوم، فقد دخلَ في النَّعيمِ في ذلك اليومِ، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ [آل عمران: 185]، و﴿ٱلۡمُبِينُ﴾ اسمُ فاعلٍ من أبانَ بمعنى بانَ[1].

بيانُ التَّشابهِ اللَّفْظِيِّ بين آيةِ الأنعام (16)، والجاثيّةِ (30):

الـدُّخـولُ في رحمةِ اللهِ، هو أعـلَى دَرَجـاتِ الفَوزِ في الآخرةِ

في سورةِ الأنعامِ قالَ: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾، وفي آيةِ الجاثيةِ قالَ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾ [الجاثية: 30]. فسياقُ الأنعامِ هو صرفُ عذابِ يومِ القيامةِ، فقالَ: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾، وأمّا سياقُ الجاثيةِ؛ فالحديثُ عن رحمةِ اللهِ وإدخالِ المؤمنين في رحمته - سبحانهُ - فقال: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾. والفرقُ كبيرٌ بين صرفِ العذابِ وبين الدُّخولِ في رحمةِ اللهِ تعالى، ولذلك فقد خصَّصَ الثّانيةَ، وحَصَرَ الفَوزَ المُبينَ عليها، فكان حالُ المؤمنينَ في رحمةِ اللهِ أرقى مآلًا من حالِ مَن صُرِفَ عنه عذابُ يومِ القيامةِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/162.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»